آفات اللسان واثارها الاجتماعية
(دراسة تحليلية)

Lesions of the tongue and its social effects (Analytical study)

أ.م.د ياسر جادر محمد

قسم التفسير وعلوم القران/ كلية العلوم الاسلامية / جامعة تكريت

الملخص

آفات اللسان من أخطر الآفات على الإنسان؛ لأن الإنسان يهون عليه التحفظ، والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، ومن النظر المُحَرَّمِ، وغير ذلك من المحرمات، ويصعب عليه التحفظ والاحتراز من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه: بالدِّين، والزهد، والعبادة، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، يهوي في النار بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب، أو يهوي بها في النار سبعين سنة، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يقطع، ويذبح في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي بما يقول ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الكلمات المفتاحية: اللسان، الكذب، الحق، الباطل، الغيبة والنميمة.

Abstract

Tongue lesions are among the most dangerous lesions for humans. Because it is easy for a person to be cautious and guard against eating forbidden things، injustice، adultery، theft، drinking alcohol، looking at forbidden things، and other forbidden things، and it is difficult for him to be cautious and guarded against the movement of his tongue، until you see a man referred to as: religion، asceticism، and worship، which is He speaks words out of Allah displeasure، without paying attention to them. With a single word he plunges into Hell farther than the distance between the East and the West، or with it he plunges into Hell for seventy years. How many men do you see who refrain from immorality and injustice، whose tongue is cut off، and who slaughters the honor of the living and the dead، and does not He cares about what he says، and there is no power or strength except with Allah Almighty.

.Keywords: tongue، lying، truth، falsehood، backbiting and gossip

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

لا شك أن الله تعالى منح الإنسان نعماً عظيمة، ومن أعظمها بعد الإسلام: نعمة النطق باللسان، وهذا اللسان سلاح ذو حدين: فإن استخدم في طاعة الله: كقراءة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصر المظلوم كان هذا هو المطلوب من كل مسلم، وكان هذا شكراً لله على هذه النعمة.

وإن استخدم في طاعة الشيطان، وتفريق جماعة المسلمين، والكذب وقول الزور، والغيبة والنميمة، وانتهاك أعراض المسلمين، وغير ذلك مما حرمه الله ورسوله. كان هذا هو المُحَرَّمُ على كل مسلم فعله، وكان كفراناً لهذه النعمة العظيمة.

فالساكتُ عن الحق شيطانٌ أخرس، عاصٍ لله، مراءٍ، مداهنٌ، إذا لم يخف على نفسه القتل ونحوه، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق، عاصٍ لله، وأكثر البشر منحرف في كلامه وسكوته بين هذين النوعين. وأهل الوسط كفّوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعُه.

و(آفات اللسان) من أخطر الآفات على الإنسان؛ لأن الإنسان يهون عليه التحفظ، والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، ومن النظر المُحَرَّمِ، وغير ذلك من المحرمات، ويصعب عليه التحفظ والاحتراز من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه: بالدِّين، والزهد، والعبادة، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، يهوي في النار بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب، أو يهوي بها في النار سبعين سنة، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يقطع، ويذبح في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي بما يقول. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أولا: الغيبة.

١- تعريف الغيبة:

قال الليث: الغيبة من الاغتياب، والغيبة من الغيبوبة، وأغابت المرأة فهي مغيبة إذا غاب زوجها، والغاب: الأجمة، والغيب: الشك[١].

وقال أبو إسحاق في قول الله جل وعز: ﴿يؤمنون بالغيب﴾[٢]، أي: يؤمنون بما غاب عنهم مما أخبرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر البعث والجنة والنار، وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به فهو غيب[٣].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: ((وقد اختلف العلماء في حدِّ الغيبة، فقال الراغب: ((هي أن يذكر الإنسان عيب غيره من غير محوج إلى ذكر ذلك))[٤].

وقال الغزالي: ((حدّ الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه))[٥].

وقال ابن الأثير في النهاية: ((الغيبة أن تذكر الإنسان في غيبته بسوء وإن كان فيه))[٦].

النووي في كتابه الأذكار تبعاً للغزالي: ((الغيبة ذكر المرء بما يكرهه، سواء كان ذلك في بدن الشخص، أو دينه، أو دنياه، أو نفسه، أو خَلقه، أو خُلقه، أو ماله، أو ولده، أو زوجه، أو خادمه، أو ثوبه، أو حركته، أو طلاقته، أو عبوسته، أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرته باللفظ أو بالإشارة والرمز))[٧].

ومنه قولهم عند ذكره: ((الله يعافينا، الله يتوب علينا، نسأل الله السلامة... فكل ذلك من الغيبة))[٨].

والغيبة لا تختص باللسان، فحيثُ ما أفهمتَ الغير ما يكرهه المغتاب ولو بالتعريض، أو الفعل، أو الإشارة، أو الغمز، أو اللمز، أو الكتابة، وكذا سائر ما يتوصل به إلى المقصود، كأن يمشي مشيه فهو غيبة، بل هو أعظم من الغيبة؛ لأنه أعظم وأبلغ في التصوير والتفهيم[٩].

(١) تعذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، ج٨، ص١٨٣ .

(٢) البقرة: اية ٣ .

(٣) تعذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، ج٨، ص١٨٣.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ج١٠، ص ٤٦٩ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) الاذكار، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله، ص ٣٣٦ .

(٨) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٠/ ٤٦٩، والأذكار للنووي، ٢٨٨-٢٩٠.

(٩) آفات اللسان في ضوء القرآن والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص ١١ .

٢- حكم الغيبة :

لاشك ولا ريب أن الغيبة محرمة بإجماع المسلمين، وقد تظاهر على تحريمها الدلائل الصريحة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة[١].

٣- ما يباح من الغيبة:

قال الله تعالى: ﴿لاَّ يُحِبُّ الله الْـجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ الله سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قالت هند أم معاوية لرسول الله ﷺ: ((إن أبا سفيان رجل شحيح فهل عليَّ جُناح أن آخذ من ماله سراً))؟ قال: ((خذي أنت وبنوك ما يكفيك بالمعروف))[٣].

وعن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فأرسل إليها وكيله بشعير فسخطته، فقال: والله ما لك علينا من شيء، فجاءت رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له فقال: ((ليس لك عليه نفقة))، فأمرها أن تعتدّ في بيت أم شريك، ثم قال: ((تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتدّي عند ابن أمّ مكتوم: فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك، فإذا حللت فآذنيني))، قالت: ((فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني: فقال رسول الله ﷺ: ((أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه[٤]، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد))، فكرهته ثم قال: ((انكحي أسامة))، فنكحته فجعل الله فيه خيراً واغتبطت))[٥].

وعن عروة بن الزبير ﷺ أن عائشة رضي الله عنها أخبرته قالت: استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: ((ائذنوا له، بئس أخو العشيرة أو ابن العشيرة)). فلما دخل ألان له الكلام. قلت: يا رسول الله، قلت الذي قلت، ثم ألَنتَ له الكلام. قال: ((أي عائشة إن شر الناس من تركه الناس - أو ودعه الناس - اتقاء فحشه))[٦].

(١) انظر: الأذكار النووية، ٢٨٩.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٨.
(٣) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم في البيوع، برقم ٢٢١١، ومسلم، كتاب الأقضية، باب قضية هند، برقم ١٧١٤.
(٤) فيه تأويلان: أحدهما: أنه كثير الأسفار.
والثاني: أنه كثير الضرب للنساء، وهذا أصح. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم.
(٥) أخرجه مسلم، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها، برقم ١٤٨٠.
(٦) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحِّشاً، برقم ٦٠٣٢، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب مداراة من يتقى فحشه، برقم ٢٥٩١ .

وقد ترجم البخاري رحمه الله في صحيحه بقوله: ((باب ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم: الطويل، والقصير، وقال النبي ﷺ: ((ما يقول ذو اليدين))، وما لا يراد به شين الرجل))[١].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى:تباح الغيبة لغرض شرعي لستة أسباب[٢]:

١- التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان، أو القاضي، أو غيرهما ممن له ولاية، فيقول: ظلمني فلان أو فعل بي كذا.

٢- الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته: فلان يعمل كذا فازجره عنه، أو نحو ذلك.

٣- الاستفتاء. بأن يقول للمفتي: ظلمني فلان، أو أبي، أو أخي... بكذا فهل له ذلك؟ وما طريقي في الخلاص منه؟ ودفع ظلمه عني؟ فهذا جائز للحاجة، والأجود أن يقول: في رجل، أو زوج، أو والد، أو ولد، كان أمره كذا، ومع ذلك فالتعيين جائز؛ لحديث هند وقولها: إن أبا سفيان رجل شحيح...[٣].

٤- تحذير المسلمين من الشر وذلك من وجوه منها:

أ- جرح المجروحين من الرواة، والشهود، والمصنفين، وذلك جائز بالإجماع، بل واجب صوناً للشريعة.

ب- ومنها الإخبار بعيب عند المشاورة[٤].

ج - ومنها إذا رأيت من يشتري شيئاً معيباً أو عبداً سارقاً، أوشارباً أو نحو ذلك تذكره للمشتري بقصد النصيحة، لا بقصد الإيذاء والإفساد.

د- ومنها إذا رأيت متفقّهاً يتردَّدُ إلى فاسقٍ، أو مبتدعٍ يأخذ عنهعلماً، وخفت عليه ضرره، فعليك بنصيحته، ببيان حاله قاصـــداً للنصيحة.

هـ- ومنها أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها لعدم أهليته، أو لفسقه، فيذكره لمن له عليه ولاية؛ ليستدل به على حاله فلا يغترّ به، ويلزم الاستقامة.

٥- أن يكون مجاهراً بفسقه، أو بدعته... فيجوز ذكره بما يجاهر به، ولا يجوز بغيره إلا بسبب آخر.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب. انظر: فتح الباري، ١٠/ ٤٦٨.

(٢) شرح النووي، ١٦/ ١٤٢، والأذكار للنووي، ص ٢٩٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم في البيوع، برقم ٢٢١١، ومسلم، كتاب الأقضية، باب قضية هند، برقم ١٧١٤.

(٤) ومن الأدلة على ذلك حديث فاطمة بنت قيس المتقدم ذكره وفيه: ((أمّا أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له...)). الحديث في صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها، برقم ١٤٨٠.

٦- التعريف،فإذا كان معروفاً بلقب كالأعمش، والأعرج، والقصير، والأعمى، والأقطع... ونحوها جاز تعريفه به، ويحرم ذكره به تنقّصاً، ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى والله أعلم[١].

قال الإمام البخاري رحمه الله: ((باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب))[٢].

قال الحافظ بعد ذلك: ((ويستنبط منه[٣]أن المجاهر بالفسق والشر لا يكون ما يذكر عنه من ذلك من الغيبة المذمومة... ثم قال: قال العلماء: تباح الغيبة في كل غرض صحيح شرعاً...: كالظلم، والاستعانة على تغيير المنكر، والاستفتاء، والمحاكمة، والتحذير من الشر، ويدخل فيه تجريح الرواة، والشهود، وإعلام من له ولاية عامة بسيرة من هو تحت يده، وجواب الاستشارة في نكاح أو عقد من العقود، وكذا من رأى متفقِّهاً يتردَّد إلى مبتدع...))[٤١].

ثانيا: النميمة .

١- تعرف النميمة:

النَّمِيمَةِ: وَهِيَ نَقْل الْحَدِيثِ مِنْ قَوم إِلَى قَوم، عَلَى جِهَةِ الإفسادِ والشَّرّ. وَقَدْ نَمَّ الْحَدِيثُ يَنِمُّهُ ويَنُمُّهُ نَمّاً فَهُوَ نَمّامٌ، وَالِاسْمُ النَّمِيمَةُ، ونَمَّ الحديثُ، إِذَا ظَهر، فَهُوَ مُتَعَدّ ولازمٌ[٥].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى نقلاً عن الإمام الغزالي رحمه الله ما ملخصه: ((النميمة في الأصل نقل القول إلى المقول فيه ولا اختصاص لها بذلك، بل ضابطها كشف ما يُكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه، أو المنقول إليه، أو غيرهما، وسواء كان المنقول قولاً، أم فعلاً، وسواء كان عيباً أم لا، حتى لو رأى شخصاً يُخفي ماله فأفشى كان نميمة))[٦].

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: ((... في رواية لا يدخل الجنة نمّام، وفي أخرى قتّات، وهو مثل الأول فالقتّات هو النمّام)). ثم قال: قال الجوهري وغيره: ((يقال: نمَّ الحديث ينِمه، وينُمه، بكسر النون

(١) شرح النووي، ١٦/ ١٤٢، والأذكار للنووي، ص ٢٩٢.
(٢) سبق تخريج حديث عروة بن الزبير عن عائشة في جواز اغتياب أهل الفساد والريب.
(٣) أي من حديث عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها: استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: ((ائذنوا له بئس أخو العشيرة – أو ابن العشيرة –)) فلما دخل ألان له الكلام. قلت: يا رسول الله قلت الذي قلت ثم ألنت له الكلام، قال: ((أي عائشة إن شر الناس من تركه الناس أو ودعه الناس اتقاء فحشه)). البخاري، برقم ٦٠٣٢، ومسلم، برقم ٢٥٩١، وتقدم تخريجه.
(٤) (١) الفتح، ١٠/ ٤٧١.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ج٥، ص ١٢٠ .
(٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٠/ ٤٧٣، والأذكار للنووي، ٢٩٨.

وضمها، نما، والرجل نمّامٌ، وقتّه يُقتّه بضم القاف قتّاً. قال العلماء: النميمة نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم))[١].

والنّمّ إظهار الحديث بالوشاية، وأصل النميمة الهمس والحركة[٢].

ثم قال ابن حجر رحمه الله تعالى: ((كأنّه أشار بهذه الترجمة إلى بعض القول المنقول على جهة الإفساد يجوز إذا كان المقول فيه كافرًا مثلاً، كما يجوز التجسس في بلاد الكفار ونقل ما يضرّهم))[٣].

٢- حكم النميمة:

النميمة محرمة بإجماع المسلمين، وقد تظاهر على تحريمها الدلائل الصريحة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة[٤].

٣- ما يباح من النميمة :

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: ((فإن دعت حاجة [إلى النميمة] فلا مانع منها، وذلك كما إذا أخبره أن إنساناً يريد الفتك به، أو بأهله أو بماله، أو أخبر الإمام، أو من له ولاية بأن إنساناً يفعل كذا ويسعى بما فيه مفسدة، ويجب على صاحب الولاية الكشف عن ذلك وإزالته، فكل هذا وما أشبهه ليس بحرام وقد يكون بعضه واجباً، وبعضه مستحباً على حسب المواطن والله أعلم))[٥].

قال الإمام البخاري: رحمه الله تعالى: ((باب من أخبر صاحبه بما يُقال فيه))، ثم ساق بسنده عن ابن مسعود ﷺ قال: قسم رسول الله ﷺ قسمة، فقال رجل من الأنصار: والله ما أراد محمد بهذا وجه الله، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فتمعّر وجهه وقال: ((رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر))[٦].

والمذموم من نَقَلَة الأخبار من يقصد الإفساد، وأما من يقصد النصيحة، ويتحرى الصدق، ويجتنب الأذى فلا، وقلّ من يُفرّق بين البابين، فطريق السلامة في ذلك لمن يخشى عدم الوقوف على ما يباح من ذلك، مما لا يباح الإمساك عن ذلك...[٧].

(١) شرح الإمام النووي على مسلم، ٢/ ١١٢.
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٠/ ٤٧٢.
(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، ١٠/ ٤٧٢.
(٤) انظر: الأذكار للإمام النووي، ص ٢٨٩.
(٥) انظر: شرح النووي على مسلم، ٢/ ١١٣.
(٦) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من أخبر صاحبه بما يقال فيه، برقم ٦٠٥٩.
(٧) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ١٠/ ٤٧٦.

ثالثا: الكذب .

١- تعريف الكذب :

الكذب: الكاف والذال والباء أصل صحيح يدل على خلاف الصدق. وتلخيصه أنه لا يبلغ نهاية الكلام في الصدق. من ذلك الكذب خلاف الصدق. كذب كذبا. وكذبت فلانا: نسبته إلى الكذب[١].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: ((واعلم أن مذهب أهل السنة أن الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو، تعمّدت ذلك أم جهلته، لكن لا يأثم في الجهل، وإنما يأثم في العمد))[٢].

فالكذب: الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو، عمداً كان أو سهواً.

٢- الكذب على الله تعالى ورسوله ﷺ:

لا شك أن من كذب على الله وعلى رسوله أشدّ وأعظم ذنباً، وأقبح فعلاً ممن كذب على من سوى الله ورسوله.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى الله كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ الله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِـمِينَ﴾[٣].

وقال سبحانه: ﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[٤].

وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِـمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ الله أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[٥].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى الله كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِـمُونَ﴾[٦].

وقال ﷻ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ الله وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ﴾[٧].

وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى الله الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾[٨].

(١) معجم مقاييس اللغة ،أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج٥ ،ص١٦٧ .
(٢) الأذكار للنووي، ٣٢٦، وانظر: شرح النووي، على صحيح مسلم، ١/ ٦٩.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤٤.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٠.
(٥) سورة الصف، الآيتان: ٢- ٣.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ٢١.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٥٧.
(٨) سورة يونس، الآية: ٦٩.

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ الله وَأُوْلـئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾(١).

وقال ﷻ: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِـمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَـفْتَرُواْ عَلَى الله الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى الله الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾(٢).

وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى الله كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزَلَ الله وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِـمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْـمَوْتِ وَالْـمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْـهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى الله غَيْرَ الْـحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾(٣).

وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْـحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾(٤).

وعن علي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ((لا تكذبوا عليَّ؛ فإنه من كذب عليّ فليلجِ النار))(٥).

وعن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قلت للزبير: إني لا أسمعك تحدّث عن رسول الله ﷺ كما يحدّث فلان وفلان، قال: أما إني لم أفارقه، ولكن سمعته يقول: ((من كذب عليَّ فليتبوّأ مقعده من النار))(٦).

قال أنس: إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثاً كثيراً أن النبي ﷺ قال: ((من تعمّد علي كذباً فليتبوأ مقعده من النار))(٧).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي، ومن رآني في المنام فقد رآني؛ فإن الشيطان لا يتمثّل في صورتي، ومن كذب علي متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار))(٨).

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ١١٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، برقم ١٠٦، ومسلم، المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، برقم ١، والترمذي، كتاب العلم، باب تعظيم الكذب على رسول الله، برقم ٢٦٦٠، والنسائي في الكبرى، كتاب العلم، باب من تعلم ليقال: فلان عالم، برقم ٥٨٨٠، وابن ماجه، المقدمة، باب التغليظ في تعمد الكذب على سول الله ﷺ، برقم ٣١.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، برقم ١٠٧، ومسلم، المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، برقم ٣، وفي كتاب الزهد، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، برقم ٣٠٠٤.

(٧) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي، برقم ١٠٨، ومسلم، المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، برقم ٢.

(٨) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي، برقم ١١٠.

وعن سلمة بن الأكوع ﷺ: قال سمعت النبي ﷺ يقول: ((من يقلْ عليّ ما لم أقلْ فليتبوّأ مقعده من النار))[1].

وفي صحيح مسلم: ((من حدَّث عني بحديث يُرَى أنه كذب فهو أحد الكاذبين))[2].

وعن المغيرة بن شعبة قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول:((إن كَذِباً عليَّ ليس كَكَذِبٍ على أحد،فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار))[3].

وعن واثلة بن الأسقع ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ((إن من أعظم الفِرى أن يدَّعي الرجل إلى غير أبيه، أو يُريَ عينه ما لم ترَ، أو يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل))[4].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((كفى بالمرء كذباً أن يحدِّث بكل ما سمع))[5].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: ((ما أنت بمحدّثٍ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة))[6].

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: ((بحسب المرء من الكذب أن يُحَدِّثَ بكل ما سمع))[7].

وقال ابن وهب: ((قال لي مالك: اعلم أنه ليس يسلم رجل حدَّث بكل ما سمع، ولا يكون إماماً أبداً وهو يحدِّث بكل ما سمع))[8].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: ((لا يكون الرجل إماماً يُقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع))[9].

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي، برقم ١٠٩.
(٢) أخرجه مسلم،المقدمة،باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين والتحذير من الكذب على رسول الله ﷺ، بدون رقم، والترمذي،كتاب العلم،باب من روى حديثاً وهو يرى أنه كذب، برقم ٢٦٦٢.
(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، برقم ١٢٩١، ومسلم، المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، برقم ٤.
(٤) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب حدثنا أبو معمر، برقم ٣٥٠٩.
(٥) أخرجه مسلم،المقدمة،باب النهي عن الحديث بكل ما سمع،برقم ٥،وأبو داود،كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب،برقم ٤٩٩٢،والنسائي في السنن الكبرى،كتاب المواعظ،برقم ١١٨٤٥.
(٦) أخرجه مسلم، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، بدون رقم، ١/ ٩.
(٧) أخرجه مسلم، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، بدون رقم، ١/ ٨.
(٨) أخرجه مسلم، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، بدون رقم، ١/ ٨.
(٩) أخرجه مسلم، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، بدون رقم، ١/ ٨.

ما يمتاز به الكاذب على رسول الله ﷺ من الوعيد على من كذب على غيره وحكم الكذب عليه ﷺ [١]:

١- الكذب على النبي ﷺ فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة، ولكن لا يكفر بهذا إلا أن يستحله وهذا مذهب الجمهور.

٢- والرأي الثاني أن الكذب عليه ﷺ يكفر متعمّده عند بعض أهل العلم. وهو الشيخ أبو محمد الجويني، لكن ضعفّه ابنه إمام الحرمين ومن بعده. ومال ابن المنيّر إلى اختياره. وَوَجَّهه بأن الكذب عليه في تحليل حرام مثلاً لا ينفكّ عن استحلال ذلك الحرام، أو الحمل على استحلاله، واستحلال الحرام كفر، والحمل على الكفر كفر.

وقال إمام الحرمين عن هذا الرأي - رأي والده - إنه هفوة عظيمة، ورجّح الإمام النووي رحمه الله والحافظ ابن حجر رأي الجمهور وهو أنه لا يكفر إلا إذا اعتقد حلَّ ذلك.

٣- قال الإمام ابن حجر: الكذب عليه ﷺ كبيرة، والكذب على غيره صغيرة فافترقا، ولا يلزم من استواء الوعيد في حقّ من كذب عليه أو كذب على غيره أن يكون مقرّهما واحداً أو طول إقامتهما سواء، فقد دلّ قوله ﷺ ((فليتبوأ)) على طول الإقامة فيها، بل ظاهره أنه لا يخرج منها؛ لأنه لم يجعل له منزلاً غيره، إلا أن الأدلة القطعية قامت على أن خلود التأبيد مختص بالكافرين، وقد فرَّق النبي ﷺ بين الكذب عليه وبين الكذب على غيره... فقال عليه الصلاة والسلام: ((إن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد..)) [٢].

٤- من كذب على النبي ﷺ عمداً في حديث واحد فسق ورُدّت رواياته كلها، وبطل الاحتجاج بجميعها... [٣].

٥- والكذب على رسول الله ﷺ كذب على الله؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْـهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [٤]. فيدخل من كذب على الرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ [٥]، والله تعالى أعلم.

(١) آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي القحطاني، ص٧٠ .
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، برقم ١٢٩١، ومسلم، المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، برقم ٤.
(٣) مقتبس من شرح الإمام النووي، ١/ ٦٩، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١/ ٣٠٢.
(٤) سورة النجم الآيتان: ٣- ٤.
(٥) سورة يونس الآية: ٦٩

٣- حكم الكذب :

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: ((قد تظاهرت نصوص الكتاب والسنة على تحريم الكذب في الجملة، وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب، وإجماع الأمة منعقد على تحريمه مع النصوص المتظاهرة...))[١].

ثم قال رحمه الله: ((ويكفي في التنفير منه الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة ﷺ)) قال: قال رسول الله ﷺ: ((آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان))[٢].

٤- الكذب في الرؤيا أو الحُـلْم :

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((من تحلَّم بحُلم لم يره كُلِّف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرُّون منه صُبَّ في أُذنه الآنك يوم القيامة، ومن صور صورة عُذِّب وكُلِّف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ))[٣].

٥- ما يباح من الكذب:

عن أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ليس الكذَّابُ الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً، أو يقول خيراً))[٤].

وفي رواية لمسلم عن أم كلثوم أيضاً: ((ولم أسمعه يُرخِّص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: بمثل ما جعله يونس من قول ابن شهاب))[٥].

قلت: وقول ابن شهاب هو ما رواه مسلم عن ابن شهاب أنه قال: ((ولم أسمَعْ يرخّص في شيء مما يقول الناسُ كذبٌ إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس،وحديث الرجل امرأته،وحديث المرأة زوجها))[٦].

(١) انظر الأذكار للإمام النووي، ص ٣٢٤.
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم ٣٣، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، برقم ٥٩.
(٣) أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه، برقم ٧٠٤٢.
(٤) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، برقم ٢٦٩٢، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه، برقم ٢٦٠٥.
(٥) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه، بدون رقم، والنسائي، كتاب السير، باب الرخصة في الكذب في الحرب، برقم ٨٥٨٨.
(٦) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه، برقم ٢٦٠٥، وانظر: الأذكار للنووي، ٣٢٤، فهناك فوائد تنير الفهم.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: ((وهذا الحديث صريح في إباحة بعض الكذب للمصلحة، وقد ضبط العلماء ما يُباح منه، وأحسن ما رأيته ما ذكره الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى قال: ((الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً، فالكذب فيه حرام، لعدم الحاجة إليه، وإن أمكن التوصّل إليه بالكذب ولم يكن بالصدق، فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً، وواجب إن كان المقصود واجباً[1].

فإذا اختفى مسلم من ظالم وسأل عنه وجب الكذبُ بإخفائه، وكذا لو كان عنده أو عند غيره وديعة، وسأل عنها ظالم يريد أخذها وجب عليه الكذب بإخفائها... ولو استحلفه عليه لزمه أن يحلف ويورّي في يمينه... وهذا إن لم يحصل الغرض إلا بالكذب، والاحتياط في هذا كله أن يورّي [في يمينه]، ومعنى التورية أن يقصد بعبارته مقصوداً صحيحاً ليس هو كاذباً بالنسبة إليه، وإن كان كاذباً في ظاهر اللفظ، ولو لم يقصد هذا بل أطلق عبارة الكذب فليس بحرام في هذا الموضع... وكذا كلما ارتبط به غرض مقصود صحيح له أو لغيره، فالذي له مثل: أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله ليأخذه فله أن ينكره، أو يسأله السلطان عن فاحشة بينه وبين الله تعالى فله أن ينكرها... وأما غرض غيره فمثل أن يُسأل عن سر أخيه فينكره ونحو ذلك... وينبغي أن يقابل بين مفسدة الكذب والمفسدة المترتبة على الصدق، فإن كانت المفسدة في الصدق أشد ضرراً فله الكذب وإن كان عكسه، أو شكّ، حرم عليه الكذب...))[2].

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى: بعض ما رُويَ عن السلف من المعاريض التي تخلصوا بها من الكذب، ومن هذه المعاريض ما يأتي:

١- رُويَ عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: ((إن في معاريض الكلام ما يغني الرجل عن الكذب))[3].

٢- وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((ما يسرني بمعاريض الكلام حمر النعم))[4].

٣- وقال بعض السلف كان لهم كلام يدرؤون به عن أنفسهم العقوبة والبلايا[5].

٤- وقد رُويَ أنه لقي رسول الله ﷺ طليعة للمشركين وهو في نفر من أصحابه فقال المشركون: ((ممن أنتم؟ فذُكِرَ أن النبي ﷺ قال: ((نحن من ماء)) فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا: أحياء اليمن كثيرة لعلهم

(١) ()الأذكار للنووي، ص ٣٢٦.
(٢) الأذكار للنووي، ٣٢٦.
(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ١/ ٣٨١.
(٤) المصدر نفسه .
(٥) المصدر نفسه .

منهم، وانصرفوا))[1].

٥- والمراد ﷺ بقوله:(نحن من ماء) قوله تعالى:﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾[2].

٦- وكان حمّاد رحمه الله تعالى: إذا جاء من لا يريد الاجتماع به وضع يده على ضرسه ثم قال: ((ضرسي ضرسي)).

٧- وسُئِل أحمد عن المروزي وهو عنده ولم يُرِدْ أن يخرج إلى السائل

فوضع أحمد أصبعه في كفه وقال: ليس المروزي هاهنا وماذا يصنع المروزي هاهنا..؟

ثم ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى أن الحيل ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قربة وطاعة وهو من أفضل الأعمال عند الله تعالى.

النوع الثاني: جائز مباح لا حرج على فاعله، ولا على تاركه، وترجح فعله على تركه أو عكس ذلك تابع لمصلحته.

النوع الثالث: محرم، ومخادعة لله تعالى ورسله، متضمن لإسقاط ما أوجبه وإبطال ما شرعه، وتحليل ما حرّمه، وإنكار السلف والأئمة وأهل الحديث إنما هو لهذا النوع...[3].

رابعا: شهادة الزور

١- تعريف الزّور :

الزَّور: وَسَطُ الصَّدْر. والزور: مَيَلٌ في وَسَط الصّدر. وكَلْبٌ أَزْور: استدقّ جوشنُ زَوْره وخرج كلكله كأنّه قد خُصِر جانباه، وهو في غير الكلاب مَيَلٌ لا يكون معتدل التّربيع. قال أعرابيّ: الزَّوْر للزّائر، أي: صدرُ الدّجاجة للضّيف. ومَفازةٌ زوراء، أي: مائلة عن القصد والسّمت. والأَزْوَرُ: الذي ينظر إليك بمؤخّر عينه[4] .

فكل ذلك مما يدخل في معنى الزور؛ فإن كان ذلك كذلك فأولى الأقوال بالصواب... أن يقال: إن الزور كل باطل سواء كان ذلك، شركاً، أو غناء، أو كذباً، أو غيره، وكل ما لزمه اسم الزور؛ لأن الله عمّ في وصفه

(١) أخرجه الواقدي في المغازي، ١/ ٥٠، وابن جرير الطبري في تاريخه، ٢/ ٤٣٦، وهو منقطع السند، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٢٥٥.

(٢) سورة الطارق، الآية: ٦.

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ١/ ٣٨٤ وقد استوفى رحمه الله البحث من الحيل والمعاريض الجائزة وغيرها.

(٤) كتاب العين ،أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ج٧، ص ٣٩٧ .

عباد الرحمن أنهم لا يشهدون الزور، فلا ينبغي أن يُخصّ من ذلك شيئاً إلا بحجة[١].

٢- ما يترتب على شهادة الزور من الجرائم:

شهادة الزور عظيمة الخطر والضرر؛لأنه يترتب عليها جرائم كثيرة،منها ما يأتي:

١- تضليل الحاكم عن الحق والتسبب في الحكم بالباطل؛لأن الحكم ينبني على أمور منها:((البينة على المدعي واليمين على من أنكر، فإذا كانت البينة كاذبة أثَّرت على الحكم،فكان بخلاف الحق،والإثم على الشاهد؛ولذلك قال النبي ﷺ:((إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليَّ، ولعلّ أحدَكم ألحن بحجته من الآخر فأقضي له نحو ما أسمع))[٢].

٢- الظلم لمن شهد له؛ لأنه ساق إليه ما ليس بحق بسبب شهادة الزور، فوجبت له النار لقول النبي ﷺ: ((إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار، فلا يأخذها))[٣].

٣- الظلم لمن شهد عليه حيث أخذ منه ماله أو حقه بالشهادة الكاذبة، فيتعرض الشاهد بذلك لدعوة المشهود عليه بغير الحق ظلماً، ودعوة المظلوم مستجابة لا تُـرَدُّ، وليس بينها وبين الله حجاب كما قال النبي ﷺ: ((ثلاثة لا تردّ دعوتهم...)) وذكر منهم ((... دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الربُّ: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين))[٤]،وقال ﷺ: ((من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرَّم عليه الجنة))، فقال له رجلٌ: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: ((وإن قضيباً من أراك))[٥].

٤- تخليص المجرمين من عقوبة الجريمة بالشهادة الباطلة،وذلك يسبب للناس الرغبة في ارتكاب الجرائم اتكالاً على وجود شهادة الزور.

٥- يترتب على شهادة الزور انتهاك المحرمات، وإزهاق النفوس المعصومة، وأكل الأموال بالباطل،

(١) جامع البيان، ١٩/ ٣١ بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب موعظة الإمام للخصوم، برقم ٧١٦٩، ومسلم، كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، برقم ١٧١٣.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين، برقم ٢٦٨٠.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب، برقم ٣٥٩٨، وقال: ((هذا حديث حسن))، وابن ماجه، كتاب الصيام، باب في الصائم لا ترد دعوته، برقم ١٧٥٢، وقال عنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٥٢٦: ((صحيح دون قوله مم خلق الخلق؟)).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين، برقم ١٣٧.

والحاكم والمحكوم له وعليه بالباطل خصماء لشاهد الزور عند أحكم الحاكمين يوم القيامة.

٦- يحصل بشهادة الزور تزكية المشهود له وهو ليس أهلاً لذلك، ويحصل بها جرح المشهود عليه بالباطل، والتزكية شهادة للمزكى، فإذا كان حال المزكى وواقعه بخلاف مضمون التزكية؛ فإن المزكي شاهد بالزور حيث شهد بخلاف الحق، أو بما لا يعلم حقيقته.

فكذلك شاهد الزور وهو مُزَكٍّ للظالم، ومُـجَرِّحٌ للمظلوم.

خامسا: بذاءة اللسان:

قال الله تعالى: ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاءَ مَرْضَاتِ الله فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[١].

قال ابن كثير – رحمه الله –: ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ يعني كلام الناس[٢].

وقال سبحانه: ﴿ لاَّ يُحِبُّ الله الْـجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ الله سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾[٣].

أي ولا يحب الله الفحش في القول، ولا الإيذاء باللسان، إلا المظلوم فإنه يباح له أن يجهر بالدعاء على ظالمه، وأن يذكره بما فيه من السوء.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((المعنى لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوماً))[٤].

وقال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْـمِرْصَادِ ﴾[٦].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أي المسلمين أفضل؟ قال: ((من سلم المسلمون من لسانه ويده))[٧].

وعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبيّن فيها، يزلُّ بها في النار أبعد ما بين المشرق))[٨].

(١) سورة النساء الآية: ١١٤.
(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٧٣٧.
(٣) سورة النساء الآية: ١٤٨.
(٤) أخرجه الطبري في التفسير، برقم ١٠٧٤٩، وقال السيوطي في الدر المنثور، ٢/ ٢٣٧: ((أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم)).
(٥) سورة ق الآية: ١٨.
(٦) سورة الفجر، الآية: ١٤.
(٧) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أي الإسلام أفضل، برقم ١١، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، برقم ٤٢.
(٨) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، برقم ٦٤٧٧، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب التكلم

وفي رواية مسلم: ((إن العبد ليتكلّم بالكلمة ما يتبيّن ما فيها، يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب))[١].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالاً يَرفَعُ الله بها درجات، وإن العبد ليتكلّم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم))[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ:((إن الرجل ليتكلّم بالكلمة من سخط الله لا يرى بها بأساً،فيهوي بها في نار جهنم سبعين خريفاً))[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُؤذِ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه))[٤].

وعن سهل بن سعد ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه أضمن له الجنة))[٥].

وعن المغيرة قال: إني سمعته ﷺ يقول عند انصرافه من الصلاة: ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير)) ثلاث مرات، وقد كان ينهى عن: ((قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، ومنعٍ وهات، وعقوق الأمهات، ووأد البنات))[٦].

وعن بلال بن الحارث المزني ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الرجل ليتكلّم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلّم بالكلمة من سخط

بالكلمة يهوي بها في النار، رقم ٢٩٨٨.

(١) انظر: المصدر السابق، برقم ٢٩٨٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، برقم ٦٤٧٨، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، برقم ٤٩- (٢٩٨٨).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بهاالناس، برقم ٢٣١٤، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، برقم ٣٩٧٠، وقال الترمذي: ((حديث حسن غريب))، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٥٨، وصحيح الترمذي، ٢/ ٢٦٨.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، برقم ٦٠١٨، ومسلم، كتاب الإيمان، باب إكرام الجار والضيف، برقم ٤٧.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، برقم ٦٤٧٤، وفي الترمذي: ((من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة))، انظر: صحيح الترمذي، ٢/ ٢٨٧.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يكره من قيل وقال، برقم ٦٤٧٣.

الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه))[1].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: ((اجتمع عند البيت قرشيان، وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، كثيرة شحم بطونهم، قليلة فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا. وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا. فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ...﴾ الآية[2].

وعن سفيان بن عبد الله ﷺ قال: قلت: يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به، قال: ((قل ربي الله ثم استقم)) قال: قلت: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: ((هذا))[3].

وعن عمر ﷺ أنه دخل على أبي بكر ﷺ وهو يجبذ لسانه، فقال له عمر: مَهْ، غفر الله لك، فقال أبو بكر: ((إن هذا أوردني الموارد))[4].

وعن جندب ﷺ أن رسول الله ﷺ حدث أن رجلاً قال:والله لا يغفر الله لفلان،وإن الله تعالى قال:من ذا الذي يتألَّى عليَّ أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان،وأحبطت عملك))،أو كما قال.ويُذكر أن أبا هريرة ﷺ قال: ((والذي نفسي بيده لتكلّم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته))[5].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال:قال رسول الله ﷺ: ((لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله؛ فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسي))[6].

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، برقم ٦٤٧٨، و الترمذي، كتاب الزهد، باب في قلة الكلام، برقم ٢٣١٩، والنسائي في الكبرى، كتاب الرقائق، برقم ١١٧٦٩، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، برقم ٣٩٦٩، و٣٩٧٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُمْ بِرَبِّكُمْ ﴾، برقم ٤٨١٧، ومسلم، كتاب صفة المنافقين وأحكامهم، برقم ٢٧٧٥.

(٣) أخرجه الترمذي،كتاب الزهد،باب ما جاء في حفظ اللسان،برقم ٢٤١٠،وابن ماجه،كتاب الفتن،باب كف اللسان في الفتنة،برقم ٣٩٧٢،وقال الترمذي: ((هذا حديث حسن صحيح))، وقال الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٤١٠، وفي صحيح ابن ماجه، برقم ٣٩٧٢: ((صحيح)).

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، ٢/ ٩٨٨، والنسائي في الكبرى، برقم ١١٨٤١.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى، برقم ٢٦٢١، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي، برقم ٤٩٠١.

(٦) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب منه، برقم ٢٤١١، وقال: ((حسن غريب))، وقال عبدالقادر الأرنؤوط: ((إسناده حسن))، انظر: الأذكار للنووي بتحقيق الأرنؤوط، ص ٢٨٥.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر[١] اللسان، فتقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا))[٢].

وعن معاذ بن جبل ﷺ في حديثه الطويل وفي عجزه ((ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟)) قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه ثم قال: ((كفّ عليك هذا))، قلت: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلّم به؟ فقال: ((ثكلتك أمك، وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم))[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ((إن أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخصم))[٤].

والألد الخصم شديد الخصومة، مأخوذ من لديدي الوادي وهما جانباه؛ لأنه كلما احتُجّ عليه بحجة أخذ في جانب آخر[٥].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: ((تقوى الله وحسن الخلق))، وسُئل عن أكثر ما يدخل الناس النار قال: ((الفم والفرجُ))[٦].

٧- يترتب على شهادة الزور القول في دين الله بغير حق وبغير علم؛فإن ذلك من أعظم الفتن،ومن أخطر أسباب الصدّ عن سبيل الله،ومن أفحش عوامل الضلال للناس،وهو من الجرأة على الله،ومن أوضح الأدلة على جهل قائله خاصة إذا تبيّن له الحق فلم يرجع إليه،أو على نفاقه وإلحاده،قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾[٧].فما أكثر شهادة الزور اليوم،ومثلهم الذين يحرّمون ما أحل الله لهم من طعام أو غيره. وأخطر من ذلك قوم يكتمون الحق مع علمهم به،ويظهرون الباطل ويدعون إليه الناس ويُزَيِّنُونَهُ

(١) أي تذل وتخضع.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، برقم ٢٤٠٧، وقال عبد القادر الأرنؤوط في تعليقه على الأذكار للنووي: ((إنه حسن)). انظر: الأذكار، ٢٨٦. وصحيح الترمذي، ٢/ ٢٨٧.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، برقم ٢٦١٦، وقال: ((حديث حسن صحيح)). وقال عنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٦١٦: ((صحيح)).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾، برقم ٢٤٥٧، ومسلم، كتاب العلم، باب في الألد الخصم، برقم ٢٦٦٨.

(٥) تعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم نقلًا عن النووي، ٤/ ٢٠٥٤.

(٦) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، برقم ٢٠٠٤، وقال: ((هذا حديث صحيح غريب)). وقال الشيخ الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٠٠٤: ((حسن)).

(٧) سورة النحل الآية: ١١٦.

لهم نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة[١].

الحلف بغير الله تعالى :

عن بريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:((من حلف بالأمانة فليس منا))[٢] ، وعن عمر قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم))، فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبي ﷺ ذاكراً ولا آثراً[٣].

وعن ابن عمر أيضاً: أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وهو يحلف بأبيه فناداهم رسول الله ﷺ: ((ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله وإلا فليصمت))[٤].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا يُحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك))[٥].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدق))[٦].

١- الحلف الكاذب والمنُّ بالعطية :

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى﴾ الآية[٧].

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدرها الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض. العدد السابع عشر، ص ٢٥٥-٢٧٢، بحث أعده فضيلة الشيخ عبد الله بن صالح القصير وفقه الله.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالأمانة، برقم ٣٢٥٣، وانظر: صحيح الجامع، ٥/ ٢٨٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، برقم ٦٦٤٧، ومسلم، كتاب الأيمان والنذور، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، برقم ١٦٤٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، برقم ٦٦٤٦، ومسلم، كتاب الأيمان والنذور، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، برقم ٣- (١٦٤٦).

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، برقم ٣٢٥١، والترمذي، كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء أن من حلف بغير الله فقد أشرك، برقم ١٥٣٥، قال: ((هذا حديث حسن)) .

(٦) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب أفرايتم اللات والعزى، برقم ٤٨٦٠، ومسلم، كتاب الأيمان، باب من حلف باللات والعزى، برقم ١٦٤٧.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

وعن أبي هريرة ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ:((ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم،ولهم عذاب أليم:رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع إمامه لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها رضي، وإن لم يُعطِهِ منها سخط، ورجل أقام سلعته بعد العصر فقال: والله الذي لا إله غيره لقد أُعطيت بها كذا وكذا، فصدَّقه رجل، ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾)) الآية[1].

وعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم))، قال: قرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: ((المُسبل إزارَه، والمنّان، والمُنفق سلعته بالحلف الكاذب))[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة))[3].

سابعا: وجوب حفظ اللسان:

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: ((اعلم أنه ينبغي لكل مكلَّف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام، إلا كلاماً تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجرّ الكلام المباح إلى حرام، أو مكروه، بل هذا كثير أو غالب في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء))[4]. وقد قال النبي الكريم ﷺ: ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))[5].

فينبغي للإنسان المسلم أن لا يخرج لفظةً ضائعة، فعليه أن يحفظ ألفاظه بأن لا يتكلم إلا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه، فإذا أراد أن يتكلَّم بالكلمة نظر: هل فيها ربح وفائدة أم لا؟ فإن لم يكن فيها ربح أمسك عنها، وإن كان فيها ربح نظر: هل يفوت بها كلمة هي أربح منها؟ فلا يضيعها بهذه، وإذا أردت أن تستدل على ما في القلب فاستدل عليه بحركة اللسان، فإنه يُطلعك على ما في القلب شاء صاحبه أم أبى. قال يحيى بن معاذ: ((القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألسنتها مغارفها، فانظر إلى الرجل حين يتكلم، فإن لسانه

(١) أخرجه البخاري، كتاب في الشرب، باب إثم من منع ابن السبيل من الماء، برقم ٢٣٥٨، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم إسبال الإزار، برقم ١٠٨، والآية ٧٧ من سورة آل عمران.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم إسبال الإزار، برقم ١٠٦.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب يمحق الله الربا ويربي الصدقات، برقم ٢٠٨٧، ومسلم، كتاب المساقاة، باب النهي عن الحلف في البيع، برقم ١٦٠٦.

(٤) الأذكار للإمام النووي، ص ٢٨٤.

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، بابٌ، برقم ٢٣١٧، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، برقم ٣٩٧٦، وانظر: صحيح الترمذي، ٢/ ٢٦٩، وصحيح ابن ماجه ٢/ ٣٦٠.

يغترف لك مما في قلبه، حلو وحامض وعذب، وأجاج، وغير ذلك وَيُبَيِّن لك طعم قلبه اغتراف لسانه)) أي كما تطعم بلسانك طعم ما في القدور من الطعام فتدرك العلم بحقيقة ذلك، كذلك تطعم ما في قلب الرجل من لسانه فتذوق ما في قلبه من لسانه كما تذوق ما في القدر بلسانك[١].

وقد كان السلف يحاسب أحدهم نفسه في قوله:((يوم حار ويوم بارد)).

ولقد رُؤيَ بعض الأكابر من أهل العلم في النوم فسئل عن حاله فقال: أنا موقوف على كلمةٍ قلتها، قلت: ما أحوج الناس إلى غيث، فقيل لي: وما يدريك؟ أنا أعلم بمصلحة عبادي، وقال بعض الصحابة لجاريته يوماً: هاتي السفرة نعبث بها، ثم قال: أستغفر الله ما أتكلم بكلمة إلا وأنا أخطمها وأزمُها إلا هذه الكلمة خرجت مني بغير خطام ولا زمام، أو كما قال[٢].

وقال ابن بريدة رأيت ابن عباس رضي الله عنهما آخذاً بلسانه وهو يقول: ويحك قل خيراً تغنم، أو اسكت عن سوءٍ تسلم، وإلا فاعلم أنك ستندم، فقيل له: يا ابن عباس لِمَ تقول هذا؟ قال: إنه بلغني أن الإنسان أراه قال: ليس على شيءٍ من جسده أشد حنقاً وغيظاً يوم القيامة منه على لسانه، إلا من قال خيراً أو أملى به خيراً[٣].

وكان ابن مسعود ﷺ يحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما على الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لساني[٤].

وقال يونس بن عبيد: ما رأيت أحداً لسانه منه على بال إلا رأيت ذلك في سائر عمله، ولا فسد منطق رجل قط إلا عرفت ذلك في سائر عمله[٥].

واعلم أن أيسر حركات الجوارح حركة اللسان،وهي أضرّها على العبد.

واختلف السلف والخلف هل يُكْتَبُ جميع ما يلفظ به أو الخير والشرّ فقط؟ على قولين: أظهرهما القول الأول.

واعلم أن في اللسان آفتين عظيمتين، إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى:

آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كلٌّ منهما أعظم إثماً من الأخرى في وقتها.

(١) حلية الأولياء، لأبي نعيم، ١٠/ ٦٣.
(٢) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم رحمه الله، ص ٢٧٦-٢٨١.
(٣) ذكره ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم، ص ٢٤١.
(٤) ذكره ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم، ص ٢٤٢.
(٥) جامع العلوم والحكم، ص ٢٤٢.

فالساكت عن الحق شيطان أخرس، عاصٍ لله، ومراء مداهن إذا لم يخف على نفسه.

والمتكلم بالباطل شيطان ناطق عاصٍ لله، وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته، فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط – وهم أهل الصراط المستقيم – كفّوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعُه في الآخرة، فلا ترى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة، فضلاً أن تضرّه في آخرته، وإن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله وما اتصل به[1].

ولهذا جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: عظني وأوجز فقال ﷺ: ((إذا قمت في صلاتك فصلِّ صلاة مودِّع، ولا تكلّم بكلام تعتذر منه غداً، وأجمع اليأس ممّا في أيدي الناس))[2].

فهذه الوصايا الثلاث يا لها من وصايا، إذا أخذ بها العبد تمت أموره وأفلح[3].

ولهذا قال عقبة بن عامر رضي الله عنه: يا رسول الله، ما النجاة؟ فقال ﷺ: ((أمسك عليك لسانك، وليسعْك بيتُكَ، وابكِ على خطيئتك))[4].

الخاتمة

تلخص عملي في هذا البحث عن أهم النتائج التالية:

آفاتُ اللسان كثيرةٌ، الكذِب على الله في شرعِه ودينه من الآفاتِ العظيمة؛ إذ القولُ على الله بلا علمٍ أعظمُ الكبائر وأشدّها، ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَّا أَنزَلَ اللهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ ءاللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٥٩]، ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ ﴾ .وفي الحديث: ((من كذَب عليَّ متعمدًا فليتبوّأ مقعدَه من النار)).

مِن آفاتِ اللّسان شهادةُ الزّور، فيشهَد على باطلٍ شهادةً هو غيرُ محِقّ فيها، لكنه يشهدها مجامَلةً ومراعاة لصُحبةٍ أو قرابة أو نحو ذلك، أو اشتراكٍ في مصالح، فيشهَد شهادةً يعلَم الله كذبَه فيها، ولكن الحاملَ عليه

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم رحمه الله، ص ٢٧٦-٢٨١.

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الحكمة، برقم ٤١٧١، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٢/ ٤٠٥، وأخرجه أحمد، ٥/ ٤١٢.

(٣) انظر بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار لعبد الرحمن السعدي، الحديث رقم ٧٤.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، برقم ٢٤٠٦، وقال: ((هذا حديث حسن))، وانظر: صحيح الترمذي، ٢/ ٢٨٧، وصحيح الجامع، برقم ١٣٨٨.

محبّةٌ أو طمَع مادّيّ ومصالح مشتَرَكة بينهما، فيشهَد زورًا، فيقول باطلاً، وفي الحديث: «ألا وشهادَة الزور»، فما زال يكرِّرها حتى قال الصحابَة: ليتَه سكَت.

ومن آفاتِ اللسان الجدالُ بالباطل، ذالكم الجدالُ الذي لا يقصَد به حمايةُ حقٍّ ولا دَحض باطل، ولكنه جدال بالباطِل وجدال بغيرِ حقّ، وإنما هوَ جدال لتصحيحِ الباطلِ وإقرار الخطَأ والدّفاع عن أهل الباطل.

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ* وَسَلامٌ عَلَى الْـمُرْسَلِينَ* وَالْـحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَـمِينَ ﴾.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١-البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، (٢٠١٢)، صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، مركز البحوث، بيروت.

٢-ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت: ٦٠٦هـ) (١٩٧٩)، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت.

٣- ابن الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١هـ)، (١٩٩٧)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، دار المعرفة - المغرب.

٤- ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي، (١٩٩٧)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٥-أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت: ٣٧٠هـ)، (٢٠٠١)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب.

٦-الاصبهاني، أبو نعيم احمد (١٩٧٤)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة، القاهرة.

٧-الترمذي، أبو عيسى محمد، الجامع الكبير، (١٩٩٦)، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٨- الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) (١٩٧٩)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت.

٩-السعدي، عبد الرحمن، (٢٠٠٢)، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار

،مكتبة الرشد، دمشق.

١٠-السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر، (٢٠٠٣)، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت.

١١- شمس الدين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت: ٧٥١هـ) (١٩٩٨)، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، مكتبة المعارف، الرياض.

١٢- الطبري، ابن جرير، (٢٠٠٠)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية، مكة المكرمة.

١٣-العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، (١٣٨٠ه)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المكتبة السلفية، القاهرة.

١٤- الفراهيدي البصري، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت: ١٧٠هـ) (١٩٩٩)، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي.

١٥- القحطاني، سعيد بن علي بن وهف (١٤٣١ه)، آفات اللسان في ضوء القرآن والسنة، مؤسسة الجريسي، الرياض.

١٦-مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدرها الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض. العدد السابع عشر.

١٧-المروازي، عبد الله بن مبارك، (١٩٩٥)، الزهد والرقائق، دار المعارج الدولية، الرياض.

١٨-مسلم، ابن الحسين النيسابوري، (١٩٩١)، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩-النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ)، الاذكار، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٤.

٢٠-الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، (ت ٢٠٧هـ) (١٩٨٩) تحقيق: مارسدن جونس، المغازي، دار الأعلمي - بيروت.

REFERENCES:

• The Holy Quran

1- Abu Mansour، Muhammad bin Ahmed bin Al-Azhari Al-Harawi، (d. 370 AH)، (2001)، Refinement of the Language، edited by: Muhammad Awad Marib.

2- Al-Asqalani، Ahmed bin Ali bin Hajar Abu Al-Fadl، (1380 AH)، Fath Al-Bari، Explanation of Sahih Al-Bukhari، Salafi Library، Cairo.

3- Al-Bukhari، Abu Abdullah، Muhammad bin Ismail bin Ibrahim bin Al-Mughira bin Bardzbah Al-Bukhari Al-Jaafi، (2012)، Sahih Al-Bukhari، verified by: A group of scholars، Research Center، Beirut.

4- Al-Farahidi Al-Basri، Abu Abdul Rahman Al-Khalil bin Ahmed bin Amr bin Tamim (d. 170 AH) (1999)، The Book of the Eye، edited by: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi، Dr. Ibrahim Al-Samarrai.

5- Al-Isfahani، Abu Naeem Ahmed (1974)، The Ornament of the Saints and the Classes of the Pure، Al-Saada Press، Cairo.

6- Al-Marwazi، Abdullah bin Mubarak، (1995)، Asceticism and Softness، Dar Al-Maaraj International، Riyadh.

7- Al-Nawawi، Abu Zakaria Muhyiddin Yahya bin Sharaf (d. 676 AH)، Al-Adhkar، edited by: Abdul Qadir Al-Arnaout، may God have mercy on him، Dar Al-Fikr Al-Arabi، Beirut، 1994.

8- Al-Qahtani، Saeed bin Ali bin Wahf (1431 AH)، Lesions of the Tongue in Light of the Qur'an and Sunnah، Al-Jarisi Foundation، Riyadh.

9- Al-Razi، Ahmed bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini Abu Al-Hussein (d. 395 AH) (1979)، Dictionary of Language Standards، edited by: Abdul Salam Muhammad Haroun، Dar Al-Fikr، Beirut.

10- Al-Saadi، Abdul Rahman، (2002)، The Joy of the Hearts of the Righteous and the Apple of the Eyes of the Righteous in Sharh Jami' Al-Akhbar، Al-Rushd Library، Damascus.

11- Al-Suyuti، Abdul Rahman bin Abi Bakr، (2003)، Al-Durr Al-Manthur، Dar Al-Fikr، Beirut.

12- Al-Tabari، Ibn Jarir، (2000)، Jami' al-Bayan on the Interpretation of the Verses of the Qur'an، Dar al-Tarbiyah، Mecca.

13- Al-Tirmidhi، Abu Issa Muhammad، Al-Jami' Al-Kabir، (1996)، Dar Al-Gharb Al-Islami، Beirut.

14- Al-Waqidi، Muhammad bin Omar bin Waqid Al-Sahmi Al-Aslami bi-Wala'، Al-Madani، Abu Abdullah، (d. 207 AH) (1989) Edited by: Marsden Jones، Al-Maghazi، Dar Al-Alami- Beirut.

15- Ibn al-Atheer، Majd al-Din Abu al-Saadat al-Mubarak ibn Muhammad ibn Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Karim al-Shaybani al-Jazari (d. 606 AH) (1979)، al-Nihayah fi Gharib al-Hadith wa al-Athar، Scientific Library، Beirut.

16- Ibn al-Jawziyyah، Muhammad bin Abi Bakr bin Ayoub bin Saad Shams al-Din (d. 751 AH)، (1997)، The Sufficient Answer for Those Who Asked About the Panacea or Disease and Medicine، Dar al-Ma'rifa- Morocco.

17- Ibn Rajab، Zain al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman bin Shihab al-Din al-Baghdadi then al-Dimashqi، (1997)، Jami' al-Ulum wa al-Hikam fi Sharh Fifty Hadiths from Jami' al-Kalam، edited by: Shuaib al-Arnaout - Ibrahim Bagis، Al-Risala Foundation- Beirut.

18- Journal of Islamic Research، a periodical magazine issued by the General Presidency of Scientific Research، Fatwa، Call and Guidance in Riyadh. Issue seventeen.

19- Muslim، Ibn al-Hussein al-Naysaburi، (1991)، Sahih Muslim، Dar al-Kutub al-Ilmiyyah، Beirut.

20- Shams al-Din، Muhammad bin Abi Bakr bin Ayoub bin Saad (d. 751 AH) (1998)، Relief to the Anxious from Satan's Traps، Al-Ma'arif Library، Riyadh.